حرف الضاد المعجمة

٧٨ ـ الضحاك بن أحمد بن الضحاك بن محمد بن عبد الجبار
أبو العشائر المقرئ الخولاني

حدث بدمشق عن عبد الله بن علي بن عبد الرحمن الأزدي بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال :
« من أفطر يوماً من رمضان من غير علة فعليه صوم شهر » .

٧٩ ـ الضحاك بن زمل بن عبد الرحمن
ـ ويقال : ابن زمل بن عبد الله ـ ويقال : ابن زمل بن عمرو ـ السكسكي

من أهل بيت لهيا ، من قرى دمشق .

حدث عن أبي أسماء السكسكي عن عمرو بن مرّة الجُهَني قال : قال رسول الله ﷺ :
« من كذب علي معتمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

قال الضحاك بن زمل :

إن معاوية قال لزياد : مابلغ من سياستك يا أبا المغيرة ؟ قال : أقتُهم بعد جَنَف[1] ، وكففتهم عما لا يُعرف بما يعرف ، فأذعن المعاند عن الحقّ رغبة ، وخضع المبتدع رهبة . قال : وبم صيَّرتهم إلى ذلك ؟ قال : بالمرهَفات القواضب ، أمضيتها بالعزم ، يتبعه الحزم . قال : لكني ضبطت [٥٧/أ] ملكي بالحلم عند انبراء القوي الألدّ مع توددي إلى العامة ، وأداء حقوقهم ، وتعقيب بعوثهم ، فسلمت لي الصدور عفواً ، وانقادت الإحنة طوعاً . فأنا أسْوَس منك . قال : صدقت .

---

(١) الجنف : الميل والجَوْر . اللسان : جنف .

obeikandi.com

قال الضحاك بن زمل :

شهدت سليمان بن عبد الملك وهو يعرض الخيل بدابق ، فقام إليه رجل فقال : ياأمير المؤمنين ، إن « أبينا » هلك ، وعمد « أخانا » فأخذ « مالُنا » فقال : لارحم الله أباك ، ولاآجر أخاك ، ولاردّ عليك مالك . ياغلام ، السوط . قال : فأول سوط ضُرب قال : بُسْم الله . قال : دعوا عدوّ الله ، لوكان تاركاً اللحن في وقت لتركه الآن .

قال الضحاك بن زمل ليزيد بن عبد الملك[1] : [الطويل]

حليمٌ إذا مانالَ عاقبَ مُجملاً ... أشدّ العقابِ أو عفا لم يُثرّبِ
فعفواً أميرَ المؤمنين وحسبةً ... فما تحتسبْ من صالحٍ لكَ يُكتبِ
أساؤوا فإن تعفُ فإنك قادرٌ ... وأفضلُ حلمٍ حسبةٌ حلمُ مغضَبِ

وقيل : هذه الأبيات لكثيّر عزّة .

قال خليفة العصفري :

لما أدخلوا آل المهلب بن أبي صفرة على يزيد بن عبد الملك قام كُثَيِّر بن أبي جمعة الذي يُقال له كثيّر عزّة ، فقال :

حليم إذا مانال عاقب مجملاً

الأبيات . وأردفها[2] :

نفَتهم قريشٌ عن محلةِ واسط ... وذو يَمنٍ بالمشرقيّ المشطَّب

فقال يزيد : أطّت[3] بك الرحم . ولاسبيل إلى ذلك . من كان له قبل آل المهلب دم فليقم . ودفعهم إليهم حتى قُتل نحو من ثمانين .

---

(١) الأبيات في ديوان كثير ١٤٧/٢

(٢) ليس البيت في الديوان .

(٣) من المجاز : أطت بك الرحم . أي : رقت وحنت . أساس البلاغة : أطط .

obeikandl.com

٨٠ ـ الضحاك بن عبد الله

أبو محمد ـ وقيل : أبو شيبة ـ الهنديّ

مولى أبي منصور المطرّز الهروي . قدم دمشق ، وحدث بها [٥٧/ب] وبصور .

حدث عن علي بن محمد الطرازي بسنده عن حكيم بن حزام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

اليد العليا خير من اليد السفلى . وابدأ بمن تَعُول .

وفي رواية أخرى ، وزاد :

وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، ومن يستعفّ يُعفّه الله ، ومن استغنى أغناه الله .

٨١ ـ الضحاك بن عبد الرحمن بن أبي حوشب

ـ ويقال : ابن حوشب بن أبي حوشب ـ أبو زرعة ـ ويقال : أبو بشر ـ النصري

حدث عن القاسم بن مُخَيمرة قال :

تعلُّم النحو أولُه شُغل وآخره بغي .

وحدث عن بلال بن سعد أنه قال في موعظته :

عبادَ[1] الرحمن ؛ لو سلمتم من الخطايا فلم تعملوا فيما بينكم وبين الله خطيئة ، ولم تتركوا لله طاعةً إلا جهدتم أنفسكم في أدائها إلا حُبّكم الدنيا لوسِعكم ذلك شرّاً إلا أن يتجاوز الله ويعفو .

كان الضحاك ثقة .

---

(١) اللفظة مضطربة الرسم في الأصل ، ولذلك أعيدت في الهامش وفوقها كلمة : « بيان » .

obeikandl.com

٨٢ ـ الضحاك بن عبد الرحمن بن عزرب

ـ ويقال : عَزرم ـ أبو عبد الرحمن الأشعري

من أهل الأردن . استعمله عمر بن عبد العزيز على دمشق . ومات عمر بن عبد العزيز وهو والٍ عليها . وكان من خير الولاة .

حدث عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن أول ما يَسأل الله عنه العبدَ يوم القيامة من النعيم أن يُقال له : ألم نصحّ جسمك ونَروِك من الماء البارد ؟ » .

٨٣ ـ الضحاك بن فيروز الديلمي

حدث عن أبيه قال :

قلت : يارسول الله ، إني أسلمت وعندي أُختان ، فقال له رسول الله ﷺ : طلّق أيّتهما شئت .

٨٤ ـ الضحاك بن قيس بن خالد الأكبر

ابن [٥٨/أ] وهب بن ثعلبة بن وائلة بن عمرو بن شيبان

ابن محارب بن فهر بن مالك ، أبو أنيس

ـ ويقال : أبو أمية ـ ويقال : أبو عبد الرحمن

ـ ويقال : أبو سعيد ـ القرشي الفهري

له صحبة ، حدث عن سيدنا رسول الله ﷺ ، ويقال : إنه لاصحبة له . شهد فتح دمشق ، وسكنها إلى آخر عمره . وشهد صفين مع معاوية . وكان على أهل دمشق ، وهم القلب . وغلب على دمشق ، ودعا إلى بيعة ابن الزبير . ثم دعا إلى نفسه .

حدث معاوية بن أبي سفيان ـ وهو على المنبر ـ قال : حدثني الضحاك بن قيس ـ وهو عدل على نفسه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يزال والٍ من قريش » .

obeikandl.com

وفي رواية :

« لا يزال على الناس والٍ من قريش » .

وحدث الضحاك بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله تبارك وتعالى يقول : أنا خير شريك . فمن أشرك معي شيئاً فهو لشريكي . ياأيها الناس ، أخلصوا أعمالكم لله تعالى . فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ماخلص له . ولا تقولوا : هذا لله وللرحم .

وفي حديث بمعناه :

فإذا أحدكم أعطى أعطية ، أو عفا عن مظلمة ، أو وصل رحمه فلا يقولَنّ : هذا لله ، بلسانه . ولكن يعلم بقلبه .

وعن الضحاك بن قيس[1] قال :

كانت أم عطية خافضة بالمدينة . فقال لها النبي ﷺ :

« إذا خفضتِ فلا تَنهَكي ، فإنه أحظى للزوج ، وأسرى للوَجْه »[2] .

وعن الحسن

أن الضحاك بن قيس كتب إلى قيس بن الهيثم حين مات يزيد بن معاوية :

سلام عليك . أما بعد . فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم ، فتناً كقطع الدخان ، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه . يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً ، ويصبح كافراً . يبيع أقوام خلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا قليل . وإن يزيد بن معاوية قد مات ، وأنتم إخواننا وأشقاؤنا ، فلا تسبقونا [٥٨/ب] حتى نحتال لأنفسنا .

كان الضحاك مع معاوية ، فولاه الكوفة ، وهو الذي صلى على معاوية ، وقام

---

(١) ميّز ابن حجر العسقلاني بين الضحاك بن قيس الفهري ، وبين الضحاك بن قيس راوي هذا الحديث . قال : « فرّق ابن معين بينه وبين الفهري ، وتبعه الخطيب في المتفق والمفترق » . انظر تهذيب التهذيب ٤٤٩/٤

(٢) كذا في الأصل مضبوطاً بالشكل . وفي ابن عساكر (نسخة س) للزوجة . وورد الحديث بغير هذه الرواية في سنن أبي داود ٣٦٨/٤ : « لاتنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل » .

بخلافته حتى قدم يزيد بن معاوية . وكان قد دعا لابن الزبير ، وبايع له . ثم دعا إلى نفسه فقتله مروان بن الحكم يوم مرج راهط سنة خمس أو أربع وستين . وكان على شرط معاوية ، وفي بيت أخته فاطمة بنت قيس اجتمع أهل الشورى ، وخطبوا خطبهم المأثورة ، وكانت امرأة نَجوداً . والنَجود : النبيلة .

وأم الضحاك أمية بنت ربيع بن حِذْيَم بن عامر بن مَبْذول بن الأحمر بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة .

ولد الضحاك قبل وفاة سيدنا رسول الله ﷺ بست أو نحوها .

وفاطمة بنت قيس أخت الضحاك ، وكانت أكبر منه بعشر سنين .

وعن معمر

أن الضحاك بن قيس أمر غلاماً قبل[1] أن يحتلم فصلى بالناس ، فقيل له : أفعلت ذلك ؟! قال الضحاك : إن معه من القرآن ماليس معي . فإنما قدمت القرآن .

قال معمر :

وبلغني أن غلاماً في عهد النبي ﷺ كان يصلي ولم يحتلم ، وكان أكثرهم قرآناً .

كان الضحاك بن قيس على الكوفة ، فخطب قاعداً ، فقام كعب بن عجرة فقال : لم أر كاليوم قط إمام قومٍ مسلمين يخطب قاعداً !

وعن الضحاك

أنه سجد في ﴿ ص ﴾ في الخطبة ، وعلقمة وأصحاب عبد الله وراءه فلم يَسجُدوا .

وعن الضحاك بن قيس

أنه كان على دمشق ، فجاءه المؤذن فسلم عليه ، وقال له المؤذن : إني لأحبك لله عزّ وجلّ ، فقال له الضحاك : ولكني أبغضك لله . قال : ولم تبغضني أصلحك الله ؟! فقال : لأنك تتزاهى بتأذينك ، وتأخذ أجراً على تعليمك . وكان معلم كتاب .

---

(١) استدركت اللفظة في هامش الأصل ، وفوقها : « صح » .

لما مات معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان اختلف الناس بالشام . فكان أول من خالف من أمراء الأجناد النعمان بن بشير بحمص . دعا إلى ابن الزبير ، ودعا زُفر بن الحارث بقنّسرين لابن الزبير ، ودعا الضحاك بن قيس [٥٩/أ] الفهري بدمشق إلى ابن الزبير سراً لمكان مَن بها من بني أمية وكلب . وبلغ حسان بن مالك بن بحدل ذلك وهو بفلسطين . وكان هواه في خالد بن يزيد ، فأمسك ، وكتب إلى الضحاك بن قيس كتاباً يعظّم فيه حق بني أمية وبلاءهم عنده ، ويذم ابن الزبير ، ويذكر خلافه ومفارقته الجماعة ، ويدعو إلى أن يبايع إلى رجل من بني حرب . وبعث بالكتاب إليه مع ناغضة بن كريب الطابخي ، وأعطاه نسخة الكتاب وقال : إن قرأ الضحاك كتابي على الناس ، وإلا فاقرأه أنت ، وكتب إلى بني أمية يعلمهم ماكتب به إلى الضحاك ، وما أمر به ناغضة ، ويأمرهم أن يحضروا ذلك . فلم يقرأ الضحاك كتاب حسان ، فكان في ذلك اختلاف وكلام ، فسكّتهم خالد بن يزيد ، ونزل الضحاك فدخل الدار . فمكثوا أياماً ، ثم خرج الضحاك ذات [يوم][1] فصلى بالناس صلاة الصبح ، ثم ذكر يزيد بن معاوية فشتمه ، فقام إليه رجل من كلب فضربه بعصاً ، واقتتل الناس بالسيوف ، ودخل الضحاك دار الإمارة ، فلم يخرج، وافترق الناس ثلاث فرق : فرقة زبيرية ، وفرقة بَحْدلية ـ هواهم لبني حرب ـ والباقون لا يبالون لمن كان الأمر من بني أمية . وأرادوا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على البيعة له . فأبى ، وهلك تلك الليالي . فأرسل الضحاك بن قيس إلى بني أمية فأتاه مروان بن الحكم وعمرو بن[2] سعيد وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فاعتذر إليهم ، وذكر حسن بلائهم عنده ، وأنه لم يُرِد شيئاً يكرهونه ، وقال : اكتبوا إلى حسان بن مالك بن بحدل حتى ينزل الجابية ، ثم نسير إليه فنستخلف رجلاً منكم ، فكتبوا إلى حسان ، فنزل الجابية ، وخرج الضحاك بن قيس وبنو أمية يريدون الجابية. فلما استقلت الرايات موجهة قال معن بن ثور السلمي ومن معه من قيس : دعوتنا إلى بيعة رجل أحزم الناس رأياً وفضلاً وبأساً . فلما أجبناك [٥٩/ب] خرجت إلى هذا الأعرابي

---

(١) الاستدراك من ابن عساكر .

(٢) في الأصل : عمرو ، وسعيد . خطأ . وسوف يرد الاسم صحيحاً بعد . وليس عمرو ، وسعيد من أبناء يزيد بن معاوية . وانظر الجمهرة ١١٢ ، وابن عساكر (نسخة س) .

من كلب تبايع لابن أختـه ! قـال : فتقولون مـاذا ؟ قـالوا[1] : نصرف الرايـات ، وننزل فنُظهر البيعة لابن الزبير ، ففعل . وبـايعـه النـاس . وبلغ ابن الزبير فكتب إلى الضحـاك بعهده على الشام ، وأخرج من كان بمكة من بني أمية . وكتب إلى من بالمدينة بإخراج من بها من بني أميـة إلى الشـام . وكتب الضحـاك إلى أمراء الأجنـاد ممن دعـا إلى ابن الـزبير فأتوه .

فلما رأى ذلك مروان خرج يريد ابن الزبير ليبايع له ويأخذ منه أماناً لبني أميـة ، وخرج معـه عمرو بن سعيـد ، فلقيهم عبيـد الله بن زيـاد بـأذرَعـات مقبـلاً من العراق ، فأخبروه بما أرادوا ، فقال لمروان : سبحان الله ، أرضيت لنفسك بهذا ؟ تبـايع لأبي خُبيب وأنت سيد قريش ، وشيخ بني عبد مناف ؟! والله لأنت أولى بها منه . فقـال لـه مروان : فما الرأي ؟ قال : الرأي أن ترجع وتدعو إلى نفسك ، وأنـا أكفيـك قريشـاً ومواليهـا ، فلا يخالفك منهم أحد . فرجع مروان وعمرو بن سعيد ، وقدم عبيـد الله بن زيـاد دمشق فنزل بيـاب الفراديس ، فكان يركب إلى الضحـاك كل يوم فيسلم عليـه ، ثم يرجـع إلى منزلـه . فعرض له يومـاً في مسيره رجل فطعنـه بحربـة في ظهره وعليـه الـدرع ، فـأثبت الحربـة ، فرجع عبيد الله إلى منزلـه . وأقـام ولم يركب إلى الضحـاك . فـأتـاه الضحـاك إلى منزلـه ، فاعتذر إليه . وأتاه بالرجل الذي طعنه فعفا عنـه عبيـد الله ، وقَبل من الضحـاك ، وعـاد عبيـد الله يركب إلى الضحـاك في كل يوم ، فقـال لـه يومـاً : يـاأبـا أُنيس ، العجب لـك ـ وأنت شيخ قريش ـ تـدعو لابن الـزبير وتـدع نفسـك ، وأنت أرضى عند النـاس منـه ، لأنك لم تزل متمسكاً بالطاعة والجماعـة ، وابن الزبير مشـاقّ ، مفـارق ، مخـالف . فـادع إلى نفسك ، قدعا إلى نفسه ثلاثة أيام . فقالوا له : أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم دعوتنـا إلى خلعه من غير حدث أحدثه ، والبيعة لك ! وامتنعوا عليه . فلما رأى ذلـك الضحـاك عـاد إلى الدعاء إلى ابن الزبير [٦٠/أ] فأفسده ذلك عند الناس ، وغيّر قلوبهم عليـه ، فقـال لـه عبيد الله بن زياد : من أراد ماتريـد لم ينزل المـدائن والحُصون يتبرّز ويجمع إليـه الخيل ، فاخرج عن دمشق واضم إليك الأجناد . وكان ذلـك من عبيـد الله بن زيـاد مكيـدة لـه ، فخرج الضحاك فنزل المرج ، وبقي عبيد الله بدمشق ، ومروان وبنو أمية بتدمر ، وخـالـد

(١) في الأصل : قال . وأثبتنا رواية ابن عساكر (نسخة س) .

وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية بالجابية عند حسان بن مالك بن بحدل . فكتب عبيد الله إلى مروان أن ادعُ الناس إلى بيعتك ، ثم سر إلى الضحاك . فقد أصحر لك . فدعا مروان بني أمية فبايعوه ، وتزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ، وهي ابنة أبي[1] هاشم بن عتبة بن ربيعة ، واجتمع الناس على بيعة مروان فبايعوه . وخرج عبيد الله حتى نزل المرج ، وكتب إلى مروان ، فأقبل في خمسة آلاف ، وأقبل عبيد الله بن زياد من حُوّارين[2] في ألفين من مواليه وغيرهم من كلب ، ويزيد بن أبي النمس بدمشق قد أخرج عامل الضحاك منها . وأمدّ مروان بسلاح ورجال . وكتب الضحاك إلى أمراء الأجناد ، فقدم عليه زفر بن الحارث الكلابي من قنّسرين ، وأمده النعمان بن بشير الأنصاري بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص ، فتوافَوا عند الضحاك بالمرج . فكان الضحاك في ثلاثين ألفاً ، ومروان في ثلاثة عشر ألفاً ، أكثرهم رجّالة . ولم يكن في عسكر مروان غير ثمانين عتيقاً : أربعون منها لعباد بن زياد ، وأربعون لسائر الناس . فأقاموا بالمرج عشرين يوماً ، يلتقون في كل يوم ، ويقتتلون . فقال عبيد الله بن زياد يوماً لمروان : إنك على حق ، وابن الزبير ومن دعا إليه على باطل ، وهم أكثر منك عدداً وعدة[3] ، ومع الضحاك فرسان قيس ، فأنت لاتنال منهم ماتريد إلا بمكيدة ، فكِدهم ، فقد أحلّ الله ذلك لأهل الحق . [٦٠/ب] والحرب خدعة ، فادعُهم إلى الموادعة ووضع الحرب حتى تنظر . فإذا أمنوا وكفّوا عن القتال فكُرّ عليهم . فأرسل مروان إلى الضحاك يدعوه إلى الموادعة ووضع الحرب حتى ينظر ، فأصبح الضحاك والقيسية فأمسكوا عن القتال ، وهم يطمعون أن مروان يبايع لابن الزبير ، وقد أعد مروان أصحابه . فلم يشعر الضحاك وأصحابه إلا بالخيل قد شدت عليهم ، ففزع الناس إلى راياتهم وقد غشوهم وهم على غير عدة ، فنادى الناس : ياأبا أُنيس ، أعجزاً بعد كيس ، فقال الضحاك : نعم أنا أبو أُنيس ، عجز لعمري بعد كيس ، فاقتتلوا ، ولزم الناس راياتهم ، وصبروا وصبر الضحاك ، فترجّل مروان وقال : قبح الله مَن يُولّيهم اليوم ظهره ، حتى يكون الأمر لإحدى الطائفتين ، فقتل

---

(١) في سير أعلام النبلاء ٢٤٤/٣ : وهي ابنة هاشم بن عتبة . وانظر الطبري ٥٤١/٥ ؛ والجمهرة ٧٧

(٢) قال ياقوت : « بالضم وتشديد الواو ، ويختلف في الراء ، فمنهم من يكسرها ، ومنهم من يفتحها : حصن من ناحية حمص » .

(٣) اللفظة مضطربة الرسم في الأصل وابن عساكر وأثبتنا رواية بدران في تهذيبه ١٢/٧

الضحاك بن قيس ـ [1]قتله رجل من كلب ، يقال له زَحمة بن عبيد الله[1] ـ وصبرت قيس عند راياتها ، يقاتلون عندها . فنظر رجل من بني عقيل إلى ماتلقى قيس عند راياتها من القتل فقال : اللهم ، العنها من رايات ، واعترضها بسيفه فجعل يقطّعها ، فإذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزم الناس فنادى منادي مروان : لاتتبعوا مولياً . فأمسك عنهم . وقتلت قيس بمرج راهط مَقتلة لم تُقتله في موطن قط . وكانت وقعة مرج راهط في نصف ذي الحجة سنة أربع وستين .

ولما بلغ ابن الزبير قتلُ مروان الضحاكَ بمرج راهط قام خطيباً فقال : إن ثعلب بن ثعلب حفر بالصَّحْصَحة[2] فأخطأت استه الحفرة . والَهْف أم لم تلدني على رجل من محارب كان يرعى في جبال مكة . فيأتي بالضَّرْبة[3] من اللبن فيتبعها بالقبضة من الدقيق ، فيرى ذلك سداداً من عيش ، ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوة .

٨٥ ـ الضحاك

ـ ويقال : صخر ـ بن قيس بن معاوية بن حصين
وهو مُقاعس بن عبادة بن النَزّال بن مرة بن عُبَيد بن
[٦١/أ] الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم
أبو بحر التميمي

أدرك عصر سيدنا رسول الله ﷺ ودعا له[4] . ولم يره : وشهد صفين مع علي عليه السلام أميراً . وقدم دمشق ، ورأى بها أبا ذر ، رضي الله عنه ، وقدم على معاوية في خلافته أيضاً . وهو المعروف بالأحنف . وكان سيد أهل البصرة .

(١ـ١) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل . وبعده : « صح » .

(٢) الصحصحة : البرية . اللسان : صحح . وهذا مثل للعرب تضربه فين لم يصب موضع حاجته . يعني أن الضحاك طلب الإمارة والتقدم فلم ينلها .

(٣) في هامش الأصل قوله : « الضربة : اللبن الحامض ، وفوقه : « صح » .

(٤) عبارة « ودعا له » مستدركة في هامش الأصل . وبعدها : « صح » .

obeikandl.com

حدث الأحنف بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال :

ألا هلك المتنطّعون . قالها ثلاث مرات .

وفي رواية :

ألا هلك المتكبرون . قالها ثلاثاً .

قال الأحنف بن قيس :

دخلت مسجد دمشق فإذا أنا برجل يصلي يكثر الركوع والسجود ، فقلت : لاأنتهي حتى أنظر أيدري على شفع ينصرف أو على وتر ؟ فلما انصرف قلت له : أتدري على شفع تنصرف أم على وتر ؟ قال : إن لم أدر فإن الله هو يدري . حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ ثم بكى ، ثم قال : حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ[1] ثم بكى ، ثم قال : حدثني خليلي أبو القاسم ﷺ ثم بكى قال : ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحطّ عنه بها سيئة ، فتقاصرت إلي نفسي فإذا هو أبو ذر .

وقد روي أن ذلك كان في مسجد حمص . وقد روي أن ذلك في مسجد بيت المقدس ، وفيه زيادة : رفعه الله بها درجة وحطّ عنه بها خطيئة ، وكتب له بها حسنة .

وكان الأحنف صديقاً لمصعب بن الزبير ، فوفد عليه بالكوفة ، ومصعب بن الزبير يومئذ والٍ عليها ، فتوفي الأحنف عنده بالكوفة، فرثي مصعب في جنازته يمشي بغير رداء سنة سبع وستين . [2]وقيل سنة اثنتين وسبعين[2] . وصلى عليه مصعب .

وكانت أم الأحنف امرأة من باهلة يقال لها حَبّة بنت ثعلبة بن قرط بن قِرواش[3] .

وكان الأحنف أحنف الرجلين جميعاً ، ولم يكن له [٦١/ب] إلا بيضة واحدة . وكانت أمه ترقّصه وتقول : [الرجز]

واللهِ لـــولا حَنَفٌ برجلِـــــهِ وقلّـــةٌ أخـــافُهـــا من نسلِـــهِ
ما كانَ في فتيانكم من مثلهِ

---

(١) عبارة الصلاة على النبي مستدركة في هامش الأصل .

(٢-٢) مابين الرقين مستدرك في هامش الأصل .

(٣) كذا في الأصل . وفي الإكمال ٣٢٠/٢ : « قرداش » .

وقد اختلف في اسمه ، فقيل : الضحاك ، وقيل صخر ، وقيل : الحارث ، وقيل : حصين . ووفد إلى عمر بن الخطاب . وهو الذي افتتح مَرْوُرود .

حدث الأحنف قال :

بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان إذ لقيني رجل من بني ليث ، فأخذ بيدي فقال : ألا أبشرك ؟ قلت : بلى . قال : أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ ساعياً إلى بني سعد ؟ فسألوني عن الإسلام ، فجعلت أخبرهم وأدعوهم إلى الإسلام ، فقلت : إنك تدعو إلى خير ، وما أسمع إلا حسناً ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : اللهم ، اغفر للأحنف . فكان الأحنف يقول : فما شيء أرجى عندي من ذلك . يعني : دعوة النبي ﷺ .

وحدث الأحنف

أنه قدم على عمر بن الخطاب بفتح تُستَر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الله قد فتح عليك تُستر ، وهي من أرض البصرة . فقال رجل من المهاجرين : يا أمير المؤمنين ، إن هذا ـ يعني الأحنف بن قيس ـ الذي كفّ عنا بني مُرّة حين بعثنا رسول الله ﷺ في صدقاتهم ، وقد كانوا همّوا بنا . قال الأحنف : فحبسني عمر عنده بالمدينة سنة ، يأتيني في كل يوم وليلة ، فلا يأتيه عني إلا ما يحبّ . فلما كان رأس السنة دعاني ، فقال : يا أحنف : هل تدري لمَ حبستك عندي ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ، فقال : إن رسول الله ﷺ حذّرنا كل منافق ، فخشيت أن تكون منهم . فاحمدِ الله يا أحنف .

وفي حديث مختصر بمعناه :

فقال : يا أحنف ، إني قد بلوتك وخبرتك ، فرأيت علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك على مثل علانيتك ، وإنا كنا نتحدث ، إنما يُهلِك هذه الأمة كل منافق عليم .

[٦٢/أ] قال أحمد بن صالح :

الأحنف بن قيس بصري ، تابعي ، ثقة . وكان سيد قومه. وكان أعور ، أحنف ، دميماً ، قصيراً ، كَوْسجاً[1] ، له بيضة واحدة . قال له عمر : ويحك يا أحنف ، لما رأيتك

(١) الكوسج : الذي لا شعر على عارضيه . وقال الأصمعي : هو الناقص الأسنان . معرب . اللسان : كسج .

ازدريتك : فلما نطقت فقلت : لعله منافق ، صَنَع اللسان . فلما اختبرتك حمدتك ، ولذلك حبستك . حبسه سنة يختبره . فقال عمر : هذا والله السيّد .

وقال له عمر : كنت أخشى أن تكون منافقاً عالماً . وأرجو أن تكون مؤمناً . فانحدر إلى مصرك .

قال عبد الله بن عبيد :

ابتاع الأحنف ثوبين بصريّين : ثوباً بستة عشر ، والآخر باثني عشر ، فقطعهما قميصين فجعل يلبس الذي أخذه بستة عشر في الطريق ، حتى إذا قدم المدينة خلعه ولبس الذي أخذه باثني عشر . فدخل على عمر ، فجعل يسائله ، وينظر إلى قميصه ويمسحه ، ويقول : ياأحنف ، بكم أخذت قميصك هذا ؟ قال : أخذته باثني عشر درهماً . قال : ويحك ! ألا كان بستة ، وكان فضله فيما تعلم ؟

قال الأحنف بن قيس :

ما كذبت منذ أسلمت إلا مرة واحدة : كان عمر يسألني عن ثوب : بكم أخذته ؟ فأسقطت ثلثي الثمن .

قال الشعبي :

وفد أبو موسى وفداً من أهل البصرة إلى عمر بن الخطاب فيهم الأحنف بن قيس . فلما قدموا على عمر تكلّم كل رجل منهم في خاصّة نفسه ، وكان الأحنف في آخر القوم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ ثم قال : أما بعد . ياأمير المؤمنين ، فإن أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه ، وإن أهل الشام نزلوا منازل قيصر ، وإن أهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الأنهار العذبة والجنان المخصبة ، وفي مثل عين البعير ، وكالحَوار[1] في السَّلى[2] . تأتيهم ثمارهم قبل أن تبلُغ ، وإن أهل البصرة نزلوا في

---

(١) الحوار : ولد الناقة من حين يوضع إلى أن يفطم ويفصل . وقيل : ساعة تضعه أمّه خاصة . اللسان : حور .

(٢) السَّلى : الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفاً فيه . اللسان : سلا .

سَبَخة زَعِقة[1] نشَّاشة[2] ، لا يجفّ ثراها ، ولا ينبُت مرعاها ، طرفها في بحر أُجاج ، والطرف الآخر في الفلاة ، لا يأتينا شيء إلا في مثل مريء النعامة ، فارفع خسيستنا[3] ، وأنعِش [٦٢/ب] وكيستنا[4] وزِد في عيالنا عيالاً ، وفي رجالنا رجالاً ، وأصغِر درهمنا وأكثِر قَفيزنا[5] ، ومُر لنا بنهر نستعذب منه الماء . فقال عمر : عجزتم أن تكونوا مثل هذا ؟! هذا والله السيّد . فما زلت أسمعها بعد .

وكان أبو موسى حين قدم على عمر فسأله عما كان رفع إليه من أمره أحب أن يبحث عنه ، فلم يقم أحد يكفيه الكلام ، فقام الأحنف بن قيس وكان من أشبههم فقال : ياأمير المؤمنين ، صاحبك مع رسول الله ﷺ في مواطن الحق ، وعاملك ولم نر منه إلا خيراً ، وإنا أناس بين سبَخَة وبين بحر أجاج ، لا يأتينا طعامنا إلا في مثل حلقوم النعامة . فأعد لنا قفيزنا ودرهمنا ، فأعجب منه ذلك عمر وأعرض عنه لحداثة سنّه ، فقال له : اجلس ياأحنف ، وكان برجله حَنَف ، فلذلك سماه الأحنف ، فغلب لقبه على اسمه ، فعرض عمر على الأحنف الجائزة ، فقال : ياأمير المؤمنين ، والله ماقطعنا الفلوات ، ودأبنا الروحات العشيات للجوائز ! وما حاجتي إلا حاجة من خلّفت ، فزاده ذلك عند عمر خيراً . فرد عمر أبا موسى ومن معه . وحبَس الأحنف عنده سنة ، وجعل عليه عيوناً ، فلم يسمع إلا خيراً ، فدعا به فقال : ياأحنف ، إنك قد أعجبتني ، وإنما حبستك لأعلم علمك ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : احذروا المنافق العالم ، وأشفقت عليك منه ، فوجدتك بريئاً مما تخوفت عليك ، فسرّحه ، وأحسن جائزته . ثم قدم على أبي موسى ، فعرف ماكان منه إليه ، فلم يزل للأحنف شرفٌ يعرف حتى خرج من الدنيا .

قال ابن سيرين :

بعث عمر بن الخطاب الأحنف بن قيس على جيش قِبَل خراسان فبيتهم العدو

---

(١) بئر زعقة : مُرّة . اللسان : زعق .

(٢) سبَخة نشاشة ونشناشة : تنزّ بالماء فينش ويعود ملحاً . اللسان : نشش .

(٣) يقال : رفع الله خسيسة فلان إذا رفع حاله بعد انحطاطها . اللسان : خسس .

(٤) الوكس : النقص . اللسان : وكس .

(٥) القفيز : من المكاييل . اللسان : قفز .

وفرقـوا جيـوشهم ، وكان الأحنف معهم ، ففـزع النـاس ، فكان أول من ركب الأحنف ومضى نحو الصوت وهو يقول : [الرجز]

إنّ على كلّ رئيسٍ حقّـــــــا أن يخضِب الصَّعـدة[1] أو تنـدقّـا

[٦٣/أ] ثم حمل على صاحب الطبل فقتله ، وانهزم العـدو ، فقتلوهم وغنموا ، وفتحوا مدينة يقال لها : مَرْوَرود . قالوا : ثم سار الأحنف بن قيس من مرورود إلى بلخ فصالحوه على أربع مئة ألف . ثم أتى خوارزم ولم يُطقها فرجع .

كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري :

أما بعد . فائذن للأحنف بن قيس ، وشاوره ، واسمع منه .

قيل للأحنف بن قيس : من أين أُوتيت ماأوتيت من الحلم والوقار ؟ قال : بكلمات سمعتهن من عمر بن الخطاب . سمعت عمر يقول : يـاأحنف ، من مَزح استُخف بـه ، ومن ضحك قلّت هيبته ، ومن أكثر من شيء عُرف به ، ومن كثر كلامه كثر سقطـه ، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه ، ومن قلّ حياؤه قلّ ورعه ، ومن قلّ ورعه مات قلبه .

قال الحسن :

مارأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف .

ذكر عمرُ بني تميم فـذمهم ، فقـال الأحنف بن قيس : يـاأمير المؤمنين ، ائـذن لي فلأتكلم . قال : تكلم . قال : إنـك ذكرت بني تميم فعممتهم بـالذم ، وإنمـا هم من النـاس ، فيهم الصالح والطالح ، فقال : صدقت ، وقفّى بقولٍ حسن ، فقـام الحُتـات ـ وكان ينـاوئـه ـ فقال : ياأمير المؤمنين ، ائذن لي فلأتكلم . قال : اجلس ، فقد كفاكم سيدكم الأحنف .

قال سفيان :

ماوُزن عقل الأحنف بعقل أحد إلا وزنه .

قيل للأحنف بن قيس : بأي شيء سوّدك قومك ؟ قال : لوعاب الناس الماء لم أشربه .

---

(١) الصعدة : القناة . والبيت في اللسـان : صعـد . وفي سـير أعـلام النبـلاء ٩٠/٤ برواية « القنـاة » بـدلاً من الصعدة .

قال مالك بن مسمع للأحنف بن قيس : يا أبا بحر ، ماأنتفع بالشاهد إذا غبت ، ولا أفتقد غائباً إذا شهدت . فكأن البحتري ألَمّ بهذا المعنى فقال[1] : [الطويل]

رحلتَ فلم نفرح بـــأوبـــةِ آيبِ ... وأُبتَ فلم نجـزع لغيبـــةِ غـــائبِ
قدمتَ فـأقـدمتَ النهى يَحملُ الرضى ... إلى كلّ غضبـان على الـدهرِ عـاتبِ
فعـادت بـك الأيـامُ زُهراً كأنمـا ... جلا الدهرُ منها عن خـدودِ الكواعبِ

[٦٣/ب] قال خالد بن صفوان :

كان الأحنف بن قيس يفرُّ من الشرف ، والشرف يتبعه .

وعن خالد بن صفوان

أنه كان بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فغشيه الناس ، فكان خالد فيمن أتاه ، وكان العباس يصوم الاثنين والخميس . قال خالد : فدخلت عليه في يوم خميس فقال لي : يا بن الأهتم ، خبرني عن تسويدكم للأحنف ، وانقيادكم له ، وكنتم حياً لم تملكوا في جاهلية قط . فقلت له : إن شئت أخبرتك عنه بخصلة لها سُوَّد ، وإن شئت بثنتين ، وإن شئت بثلاث ، وإن شئت حدثتك عنه بقية عشيتك حتى تنقضي ، ولم تشعر بصومك . قال : هات الأولى ، فإن اكتفينا وإلا سألناك . قال : فقلت : كان أعظمَ من رأينا وسمعنا ـ ثم أدركني ذهني فقلت : غير الخلفاء ـ سلطاناً على نفسه في ماأراد حملها عليه ، وكفّها عنه . قال : لقد ذكرتها فجلاء كافية . فما الثانية ؟ قلت : قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه ، ولا يكون بصيراً بالمحاسن والمساوئ ولم يرَ ولم يسمع بأحد أبصر بالمحاسن والمساوئ منه ، فلا يَحمل السلطنة إلا على حسن ، ولا يكفها إلا عن قبيح . قال : قد جئت بصلة الأولى لا يصلح إلا بها . فما الثالثة ؟ قلت : قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه بصيراً بالمحاسن والمساوئ ، ولا يكون حظيظاً ، فلا يفشو له ذلك في الناس ، فلا يُذكر به ، فيكون عند الناس مشهوراً . قال : وأبيك ، لقد جئت بصلة الأوليَين ، فما بقية ما يقطع عني العشي ؟ قلت : أيامه السالفة . قال : وما أيامه السالفة ؟ قلت : يوم فتح خراسان : اجتمعت إليه جموع

---

(١) الأبيات في الديوان ٩١/١ باختلاف في الرواية ، وهي من قصيدة يمدح بها محمد بن علي القُمّي .

الأعاجم بمروالرُّوذ فجاء مالاقِبَل له به ، وهو في منزل بمضيعة وقد بلغ الأمر به . فصلى عشاء الآخرة ، ودعا ربه ، وتضرَّع إليه أن يوفقه ثم خرج [٦٤/أ] يمشي في العسكر مشي المكروب ، يتسمع ما يقول الناس ، فمرّ بعبد يعجن وهو يقول لصاحب له : أتعجب لأميرنا ، يقيم بالمسلمين في منزل مضيعة ، وقد جاءه العدو من وجوه . وقد أطافوا بالمسلمين من نواحيهم ، ثم اتخذوهم أغراضاً ، وله متحوَّل ، فجعل الأحنف يقول : اللهم وفّق ، اللهم سدّد . فقال العبد للعبد : فما الحيلة ؟ قال : أن يُنادي الساعة بالرحيل ، فإنما بينه وبين الغيضة فرسخ ، فيجعلها خلف ظهره فيمنعه الله بها ، فإذا امتنع ظهره بها بعث بِجَنبتيه اليمنى واليسرى فيمنع الله بها ناحيتيه ويلقى عدوه من جانب واحد . فخرّ الأحنف ساجداً ثم نادى بالرحيل مكانه ، فارتحل المسلمون مكبين على رايتهم ، حتى أتى الغيضة ، فنزل في قَبَلها[1] ، وأصبح فأتاه العدو ، فلم يجدوا إليه سبيلاً إلا من وجه واحد وضربوا بطبول أربعة ، فركب الأحنف ، وأخذ الراية ، وحمل بنفسه على طبل ففتقه وقتل صاحبه ، وهو يقول :

إن على كلّ رئيس حقّـــــــا أن يخضب الصَّعْدة أو تندقّـا

ففتق الطبول الأربعة ، وقتل حملتها . فلما فقد الأعاجم أصوات طبولهم انهزموا ، فركب المسلمون أكتافهم ، فقتلوهم قتلاً لم يقتلوا مثله قط . وكان الفتح .

واليوم الثاني أن علياً لما ظهر على أهل البصرة يوم الجمل أتاه الأشتر وأهل الكوفة بعدما اطمأن به المنزل ، وأثخن في القتل ، فقالوا : أعطنا ، إن كنا قاتلنا أهل البصرة حين قاتلناهم وهم مؤمنون فقد ركبنا حُوباً كبيراً ، وإن كنا قاتلناهم كفاراً وظهرنا عليهم عنوة فقد حلّت لنا غنية أموالهم وسبي ذراريهم ، وذلك حكم الله تعالى وحكم نبيّه في الكفار إذا ظهر عليهم . فقال علي : إنه لا حاجة بكم أن تهيجوا حرب إخوانكم ، وسأرسل إلى رجل منهم [٦٤/ب] فأستطلع برأيهم وحجتهم فيما قلتم ، فأرسل إلى الأحنف بن قيس في رهط ، فأخبرهم بما قال أهل الكوفة . فلم ينطق أحد غير الأحنف ، فإنه قال : يا أمير المؤمنين ، لماذا أرسلت إلينا ؟! فوالله إن الجواب عنا لعندك ، ولا نتبع الحق إلا بك ، ولا علمنا العلم

---

(١) القبل : ماارتفع من جبل أو رمل أو علو من الأرض . اللسان : قبل .

إلا منك . قال : أحببت أن يكون الجواب عنكم منكم ليكون أثبت للحجة ، وأقطع للتهمة فقل . فقال : إنهم قد أخطؤوا وخالفوا كتاب الله وسنّة نبيهم ﷺ إنما كان السبي والغنيمة على الكفار الذين دارهم دار كفر . والكفر لهم جامع ، ولذراريهم . ولسنا كذلك . وإنها دار إيمان يُنادى فيها بالتوحيد وشهادة الحق وإقام الصلاة . وإنما بغت طائفة أسماؤهم معلومة ، أسماء أهل البغي ، والثانية حجتنا أنا لم نستجمع على ذلك البغي ، فإنه قد كان من أنصارك من أثبتهم بصيرة في حقك ، وأعظمهم غناء عنك ، طائفة من أهل البصرة ، فأي أوليك يجهل حقه وينسى قرابته ؟ إن هذا الذي أتاك به الأشتر وأصحابه قولُ متغلمة أهل الكوفة ، وايم الله ، لئن تعرضوا لها لتكرهُنّ عاقبتها ، ولا تكون الآخرة كالأولى . فقال علي : ماقلت إلا ماتعرف . فهل من شيء تخصون به إخوانكم بما قاسوا من الحرب ؟ قال : نعم ، أعطياتنا في بيت المال . ولم تك لتصرفها في عدلك عنا . فقد طبنا عنها نفساً في هذا العام ، فاقسمها فيهم . فدعاهم علي ، فأخبرهم بحجج القوم ، وما قالوا ، وبموافقتهم إياه . ثم قسم المال بينهم : خمس مئة لكل رجل . فهذا اليوم الثاني .

وأما اليوم الثالث فإن زياداً أرسل إليه بليلٍ وهو جالس على كرسي في صحن داره ، فقال : يا أبا بحر ، ماأرسلت إليك في أمرٍ تنازعني فيه مخلوجة[1] ، ولكني أرسلت إليك وأنا على صريمة[2] ، فكرهت أن يروعك أمر يحدث [٦٥/أ] ولا تعلمه . قال : فما هو ؟ قال : هذه الحمراء قد كثرت بين أظهر المسلمين ، وكثر عددهم ، وخفّت عدوتهم ، والمسلمون في ثغرهم وجهادهم عدوّهم ، وقد خلفوهم في نسائهم وحرمهم ، فأردت أن أرسل إلى كل من كان في عَرافة من المقاتلة فيأتوا بسلاحهم ، ويأتيني كل عريف بمن في عرافته من عبد أو مولى فأضرب رقابهم فتؤمنَ ناحيتهم . قال الأحنف : ففيم القول وأنت على صريمة ؟ قال : لتقولن . قال : فإن ذلك ليس لك . يمنعك من ذلك خصال ثلاث : أما الأولى فحكم الله عزّ وجلّ في كتابه عن الله ، وما قتل رسول الله ﷺ من الناس مَن قال : لاإله إلا الله وشهد أن محمداً رسول الله ، بل حقن دمه . والثانية أنهم غلة الناس ، لم يغز غازٍ فخلف لأهله ما يصلحهم إلا من غلاتهم ، وليس لك أن تحرمهم . وأما الثالثة فهم يقيمون أسواق

---

(١) يقال : وقعوا في مخلوجة من أمرهم أي اختلاط . اللسان : خلج .

(٢) الصريمة : العزيمة على الشيء وقطع الأمر . اللسان : صرم .

المسلمين ، أفتجعل العرب يقيمون أسواقهم قصّابين وقصّارين وحجّامين ؟! قال : فوثب عن كرسيه ، ولم يَعلمه أنه قَبِل منه ، وانصرف الأحنف .

قال : فما بتّ بليلةٍ أطول منها ، أتسمّع الأصوات . قال : فلما نادى أول المؤذنين قال لمولى له : ائت المسجد فانظر هل حدث أمر ؟ فرجع فقال : صلى الأمير وانصرف ، ولم يحدث إلا خير .

كان الأحنف استُعمل على خراسان . فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة . قال : فلم يوقظ أحداً من غلمانه ولا جنده ، وانطلق يطلب الماء . قال : فأتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دماً ، فوجد الثلج . قال : فكسره واغتسل . قال : فقام فوجد على ثيابه نعلين محذوتين[1] جديدتين فلبسهما . فلما أصبح أخبر أصحابه . فقالوا : والله ماعلمنا بك .

قال مغيرة :

شكا ابن أخي الأحنف بن قيس وجعاً بضرسه فقال الأحنف : [٦٥/ب] لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ، فما ذكرتها لأحد .

دخل الأحنف بن قيس على معاوية فقال : أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين ، والمخذّل عن أم المؤمنين ؟! فقال : يا معاوية ، لاتردّ الأمور على أدبارها ، فإن السيوف التي قاتلناك بها على عواتقنا ، والقلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا ، والله لاتمدّ إلينا شبراً من غدر إلا مددنا إليك ذراعاً من خَتْر[2] ، ولئن شئت لتستصفيَنّ كدر قلوبنا بصفوٍ من عفوك . قال : فإني أفعل .

قال الأحنف :

ماتازعني أحد قط إلا أخذت في أمري بثلاث خلال : إن كان فوقي عرفت له قدره ، وإن كان دوني رفعت قدري عنه ، وإن كان مثلي تفضلت عليه .

---

(١) حذا النعل حذواً وحِذاء : قدّرها وقطعها . اللسان : حذا .

(٢) الختر : قيل : أسوأ الغدر وأقبحه . اللسان : ختر .

قال الأحنف بن قيس :

من كانت فيه أربع خصال ساد قومه غير مدافَع : من كان له دِين يحجزه ، وحسَب يصونه ، وعقل يرشده ، وحياء يمنعه .

قال الأحنف لرجل سأله : ماالحلم ؟ فقال :

هو الذلّ تصبر عليه .

قال الأحنف :

ليس فضل الحلم أن تُظلَم فتحلُم حتى إذا قدرت انتقمت ، ولكنه إذا ظُلمت فحلمت ثم قدرت فعفوت .

قال الأحنف بن قيس :

ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دنيء ، وبَرّ من فاجر ، وحليم من أحمق .

قال الأحنف :

ليس لكذوب مروءة ، ولا لبخيل حياء ، ولا لحاسد راحة ، ولا لسيء الخلق سؤدد ، ولا لملول وفاء .

قال رجل للأحنف بن قيس : ياأبا بحر ، دلّني على أحمدِ أمرٍ عاقبةً ، فقال له : خالقِ الناس بخلق حسن ، وكُفَّ عن القبيح . ثم قال له : ألا أدلك على أدْوَأ الداء ؟ قال : بلى . قال : اكتساب الذم بلامنفعة ، واللسان البذيء ، والخلق الرديء .

قال الأحنف بن قيس :

مَن أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون .

قيل للأحنف : [٦٦/أ] ماالمروءة ؟ قال : ألا تعمل في السر شيئاً تستحي منه في العلانية .

سأل يزيد بن معاوية الأحنف بن قيس عن المروءة فقال الأحنف : التُّقى والاحتمال . ثم أطرق الأحنف ساعة وقال : [مجزوء الكامل]

وإذا جميلُ الوجه لم يأتِ الجَميلَ فما جمالُه ؟

obeikandi.com

مـــــا خيرُ أخـــلاقِ الفَتى إلا تُقـــــاه واحتمالُـــــه

فقال يزيد : أحسنت ياأبا بحر ، وافق الِمّ زِيراً[1] ، قال الأحنف : ألا قلت : وافق المعنى تفسيراً ؟ .

قال الأحنف بن قيس :

رأس الأدب آلة المنطق ، ولا خير في قول إلا بفعل ، ولا في منظر إلا بمخبر ، ولا في مال إلا بجود ، ولا في صديق إلا بوفاء ، ولا في فقه إلا بورع ، ولا في صدقة إلا بنّية ، ولا في حياة إلا بأمن وصحّة .

تذاكر قوم الصمت والكلام ، فقال قوم : الصمت أفضل ، فقال الأحنف : المنطق أفضل ، لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه ، والمنطق الحسن ينتفع به مَن سمعه .

قال الأحنف :

ثلاث خصال تُجتلب بهن المحبة : الإنصاف في المعاشرة ، والمواساة في الشدة ، والانطواء على المودة .

قال الأحنف بن قيس :

إنّ غاصب الدنيا وظالمها أهلها ، والمدعي ماليس له منها على قلتها ـ وإن كان عالي المكان من سلطانها ـ لأقلّ منها وأذلّ .

كتب الأحنف إلى صديق له :

أما بعد . فإذا قَدِم عليك أخ لك مُوافق فليكن منك بمنزلة السمع والبصر ، فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف . ألم تسمع الله يقول لنوح في ابنه : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ[2] ﴾

رأى الأحنف في يد رجل درهماً فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال : لي ، فقال الأحنف : ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر . ثم تمثّل : [الرمل]

---

(١) الِمّ : الوتر الغليظ من أوتار المزاهر . والزِّير من الأوتار : الدقيق . اللسان : بمم ، زور .

(٢) سورة هود ٤٦/١١

أنتَ للمـــالِ إذا أمسكتَـــه وإذا أنفقتَـه فـالمـالُ لَـكْ

[٦٦/ب] قال الأحنف بن قيس :

ما خان شريف ، ولا كذب عاقل ، ولا اغتاب مؤمن .

قال الأحنف :

الرفق والأناة محبوبة إلا في ثلاث : تَبادرْ بالعمل الصالح ، وتعجّل إخراج ميتك ، وتنكح الكفء أيّمك .

قال الأحنف :

لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلداً ليس فيه خمس خصال : سلطان قاهر ، وقاض عادل ، وسوق قائمة ، ونهر جار ، وطبيب عالم .

قال الأحنف :

مِن السؤدد الصبر على الذل ، وكفى بالحلم ناصراً .

قال الأحنف بن قيس :

جنّبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام ، فإني أبغض الرجل أن يكون وصّافاً لفرجه وبطنه . وإن من المروءة أن يترك الرجل الطعام وهو يشتهيه .

قال عمر بن الخطاب للأحنف بن قيس : أي الطعام أحبّ إليك ؟ قال : الزبد والكمأة ، فقال عمر : ماهما بأحبّ الطعام إليه . ولكنه يُحب خصب المسلمين . يعني أن الزبد والكمأة لا تكونان إلا في سنة الخصب .

قال الأحنف بن قيس :

سمعت خطبة لأبي بكر وعُمر وعثمان وعلي والخلفاء بعد ، فما سمعت الكلام مِن في مخلوقٍ أفخم ولا أحسن من عائشة أم المؤمنين .

قال عتبة بن صعصعة :

رأيت مصعب بن الزبير في جنازة الأحنف متقلداً سيفاً ، ليس عليه رداء وهو يقول : ذهب اليوم الحزم والرأي .

obeikandl.com

توفي الأحنف سنة سبع وستين ، وقيل : سنة اثنتين وسبعين .

قال عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة بن أبي مُعيط :

حضرت جنازة الأحنف بن قيس بالكوفة فكنت فيمن نزل قبره . فلما سوّيته رأيته قد فُسح له مدّ بصري ، فأخبرت بذلك أصحابي فلم يرَوا ما رأيت .

٨٦ ـ الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم بن رافع

ابن رُفيع بن الأسود بن عمرو بن رألان بن هلال بن ثعلبة بن شيبان ، أبو عاصم الشيباني البصري ، المعروف بالنبيل

حدث عن حنظلة بن أبي سفيان عن القاسم عن عائشة :

أن رسول الله ﷺ كان يغتسل من جنابة ، فيأخذ حفنة لشقّ رأسه الأيمن ، ثم يأخذ حفنة لشقّ رأسه الأيسر .

ولد الضحاك سنة إحدى وعشرين . وقيل : سنة اثنتين وعشرين ومئة . وقال : ولدت أمي في سنة عشر ومئة ، وولدت سنة اثنتين وعشرين ومئة . ومات سنة اثنتي عشرة ومئتين ، وهو ابن تسعين وأربعة أشهر .

وسئل أبو عاصم : لِمَ سُمّيت نبيلاً . قال : لتجمُّل ثيابي . وكان كبير الأنف ، ثم قال : أخبركم عن نفسي بشيء : تزوجت امرأة فلما بنيت بها عمدت لأقبّلها فمنعني أنفي عن القبلة ، فشددتُ أنفي على وجهها فقالت المرأة : نحِّ ركبتك عن وجهي . قال : فقلت : ليس هذا ركبة إنما هو أنف .

قال موسى بن إسماعيل قال : سمعت أبا عاصم النبيل يقول :

ما اغتبت مسلماً منذ علمت أن الله حرّم الغيبة .

وقال عمر بن شبة : سمعت أبا عاصم النبيل يقول :

أقلّ حالات المدلّس عندي أن يدخل في حديث النبي ﷺ : المتشبّعُ بما لم يُعط كلابس ثوبيّ زور .

obeikandl.com

قال أبو عاصم :

من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى الأمور ، فيجب أن يكون خير الناس .

قال أبو داود سليمان بن يوسف :

كنت مع أبي عاصم النبيل وهو يمشي وعليه طيلسان ، فسقط عنه طيلسانه فسوّيته عليه ، فالتفت إلي وقال : كل معروف صدقة . فقلت : من ذكره رحمك الله ؟ فقال : أخبرنا ابن جُريج عن عطاء عن النبي ﷺ قال : كل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة .

قال إبراهيم بن يحيى بن سعيد :

رأيت أبا عاصم النبيل في منامي بعد موته فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي . ثم قال : كيف حديثي فيكم ؟ قلت : إذا قلنا : أبو عاصم فليس أحد يردّ [٦٧/ب] علينا . قال : فسكت عني ثم أقبل علي فقال : إنما يُعطى الناس على قدر نيّاتهم .

٨٧ ـ الضحاك بن مسافر

مولى سليمان بن عبد الملك

حدث عن أبي حنيفة قال :

صلّيت إلى جنب أبي حنيفة ، فسمعني أتشهد فقال لي : يا شامي ، حدثني سليمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : علمني رسول الله ﷺ التشهد :

التحيات لله والصلوات والطيبات . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . ثم تدعو بما أحببت .

٨٨ ـ الضحاك بن المنذر بن سَلامة بن ذي فائش

ابن يزيد بن مرّة بن عريب بن مَرْثَد بن يريم الحميري

وفد على معاوية .

ذكر أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهَمْداني المعروف بابن ذي الدمينة في كتاب مفاخر قحطان قال :

ذكروا أن الضحاك بن المنذر الحميري ـ وكان أبوه وجده ملكين ، وكان وسيماً جسيماً ـ دخل على معاوية بن أبي سفيان ، فاستشرفه معاوية حين نظر إليه فقال : ممن الرجل ؟ فقال : من فرسان الصّياح ، الملاعبين بالرماح ، المبارين للرياح ، وكان معاوية متكئاً ، فاستوى قاعداً ، وعجب من قوله وقال : أنت إذن من قريش البطاح . قال : لست منهم ، ولولا الكتاب المنزّل ، والنبي المرسَل لكنت عنهم راغباً ، ولقديمهم عائباً . قال : فأنت إذن من أهل الشراسة ، ذوي الكرم والرئاسة : كنانة بن خزيمة . قال : لست منهم ، وإني لأطمو عليهم ببحر زاخر ، وملك قاهر ، وعز باهر ، وفرع شامخ ، وأصل باذخ . قال : فأنت إذن من جمرة[1] معدّ ، وركنها الأشدّ [٦٨/أ] أهل الغارات : بني أسد . قال : لست منهم ، لأن أولئك عبيد ، ولم يبق منهم إلا الشريد . قال : فأنت إذن من فرسان العرب المطعمين في الكرب ، أهل القباب الحمر : تميم بن مرّ . قال : لست منهم ، لأن أولئك بدؤوا بالفرار حين أجحرتهم[2] منا الأحجار . قال : فأنت إذن من خيار بني نزار ، وأحماهم للذمار ، وأوفاهم بذمة الجار : بني ضبّة . قال : لست منهم ، لأن أولئك رعاء البقر وأهل البؤس والنكر ، لا يُقْرُون الضيف ، ولا يدفعون الحَيْف . قال : فأنت إذن من أهل الطلب بالأوتار ، واجتماع الدار : ثقيف بن منبّه . قال : كلا . أولئك قصار الجدود لئام الجدود ، بقية ثمود . قال : فأنت إذن من أهل الشاء والنَّعَم ، والمنعة والكرم : هُذيل بن مُدركة . قال : كلا ، ألهى أولئك جمع الحطب وجزر العَرب ، ولا يحلُون ولا يمرّون ، ولا ينفعون ولا يضرون . قال : فأنت إذن من هوازن ، أهل القسر

---

(١) الجمرة : القبيلة لاتنضم إلى أحد . اللسان : جمر .

(٢) أجحره إلى كذا : ألجأه . اللسان : جحر .

والقهر ، والنعم الـدُّثر . قـال : كـلا ، أولئـك أهـل الشِّرّات[1] ، وعـلاج الكَرّات ، شعر الرقـاب وغبش الكلاب . قـال : فـأنت إذن من قـاتلي الملوك الجبـابر ، وأحلاف السيـوف البواتر : من عبس أو مرّة . قال : لست منهم ، لأنا منعناهم هاربين ، وقتلنـاهم غـادرين . قال : فأنت إذن من أهل الراية الحمراء ، والقبة القتراء سُليم بن منصور . قال : كلا . ألهى أولئك أكل الحصى ورضخ[2] النوى . قال : فأنت إذن من أوغـاد اليمانين ، الـذين لا يعقلون شيئاً . قال : أنا ابن ذي فائش . مهلاً يامعاوية ، فإن أولئك كانوا للعرب قادة ، وللنـاس سادة ، ملكوا أهل الأرض طوعاً ، وأجبروهم كرهاً ، حتى دانت لهم الدنيا بما فيهـا ، وكانوا الأربـاب وأنتم الأذنـاب ، وكانـوا الملـوك وأنتم السـوقـة ، حتى دعـاهم خير البريـة بـالفضـل والتحية محمد ﷺ ، فعزّروه أيّما تعزير ، وشمّروا حوله أيّما [٦٨/ب] تشمير ، وشهروا دونه السيوف ، وجهزوا الألوف بعد الألوف ، وجادوا له بالأموال والنفوس ، وضربوا معـدّاً حتى دخلـوا في الإسـلام كرهـاً ، وقتلـوا قريشـاً يـوم بـدر ، فلم يطلبـوهم بثـأر ، فـأصبحت يامعاوية ، تحمل ذلك علينا حقـداً ، وتشتمنـا عليـه عـداً . وتقـذف بنـا في لجج البحـار ، وتكفّ شرّك عن بني نـزار . ونحن منعنـــاك يـوم صفين ، ونصرنـــاك على الأنصـــار والمهـاجرين ، وآثرنـاك على الإمـام التقي الـوصي الـوفي ، ابن عم النبي ﷺ . فبنـا علَـوْت المنابر ، ولولا نحن لم تعلُها ، وبنا دانت لك المعاشر ، ولولا نحن لم تَدِن لك ، فأنكرت منـا مـا عزمت ، وجهلت منـا مـا علمت . فلـولا أنّـا كما وصفت ، وأحـلامنـا كما ذكرت لمنعنـاك العهد ، ولشددنا لغيرك العقد ، ولقرعت قرعاً تتطأطأ منه وتتقبض .

فغاظ معاوية مـاكان من كلامـه ، وضـاق بـه ذرعـه ، فلم يتمالـك أن قـال : اضربوا عنقه . فلم يبق في مجلسه يمانٍ إلا قام سالاً سيفه ، ولا مضريّ إلا عاضاً على شفته ، ودنا من معاوية فقام زرعة بن عُفير بن سيف اليزني ـ وقيل : عُفير بن زرعة بن عـامر بن سيف ، وهكذا هو ـ فقـال : أمـا والله يـامعـاويـة ، إنـا لنراك تكظم الغيـظ من غيرنـا على القول الفظيع الكثير ، وتستفظع منا اليسير ـ يريد ما يسمع من قريش ـ وذلك والله أنّـا لم نطعن عليـك في أمرك ، فكأنـك بـالحرب قـد رفعنـاهـا إليـك ، فستعلم أن رجـالنـا ضراغم ، وأن

---

(١) الشَّرّة : مصدر لشَرّ . اللسان : شرر

(٢) رضخ النوى : كسره . اللسان : رضخ .

سيوفنا صوارم ، وأن خيولنا ضوامر ، وأنّ كُماتنا مساعر ، ثم قعد ، وقام حَيْوة بن شريح الكَلاعي فقال : يامعاوية ، أنصفنا من نفسك وآسِ بيننا وبين قومك . وإلا تغلغلت بنا وبهم الصفاح ، أو لنَطْحَنّهم بها أشد النطاح [٦٩/أ] ولنُوردَنّهم بها حوض المنيّة المتاح ، فقايضْنا بفعلنا حذو النعل بالنعل ، وإلا والله أقنا دَرْأَك[1] بعدلنا ، ولقينا صَغوك بعزمنا حتى ندعَك أطوع من الرداء ، وأذل من الحذاء . ثم دنا كريب بن أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح ـ أو ابن السامي فقال : ياهذا ، أنصفنا من نفسك لنكون وزراً على عدوك ، ونكون لك على الحق أعواناً ، وفي الله إخواناً ، وإلا والله أقنا مَيْلك ، وردعنا سفَهك ، وخالفنا فيك هواك ، فتُلفى فريداً وحيداً ، ثم تصبح هيناً مذموماً مدحوراً ، مغلوباً مقهوراً . ثم دنا يريم بن حبيب المرادي فقال : يامعاوية ، والله إن سيوفنا لحِداد ، وإن سواعدنا لِشداد ، وإن رجالنا لأنجاد ، وإن خيولنا معدّة ، وإنا لأهل بأس ونجدة ، فاستَبِلْ من هوانا من قبل أن نجمع عليك ملأنا ، فندعك نكالاً لمن ولي هذا الأمر من بعدك . ثم دنا ناتل بن قيس بن حيا الجُذامي فقال : يامعاوية ، قد تعرف [فِعْل][2] ابن الزبير بك ، وقد خالفك في ابنك يزيد ، ولقيك بالأمرالشديد ، فطلبت منه السلامة ، وأهديت له الكرامة ، وذلك والله أنه أحسن ثورك[3] ، وبلغ منك عَوَرك ، وقع بالشغب طورك ، وايم الله ، لنحن أكثر منك نفراً وجمعاً ، فاربَع على ظَلْعك[4] من قبل أن نقرعك حتى يسمع بخوارك من لا ينفعك من أنصارك . ثم دنا فروة بن المنذر الغساني فقال : يامعاوية ، اعرف لكهلنا حقّه ، واحتمل من كريمنا قوله ، فإن خطَره فينا عظيم ، وعهده بالملك حديث . فإن أبيت إلا أن تعدو طورك ، وتُجاوز قدرك مشينا إليك بأسيافنا ، وضربناك بأيماننا حتى تُنيب إلى الحق ، وتترك الباطل بكرهك . فراع معاوية ما كان منهم ثم قال : عزمت عليكم لما قعدتم .

---

(١) الدّرء : النشوز والاعوجاج . اللسان : درأ .

(٢) الاستدراك من ابن عساكر .

(٣) اللفظة مهملة في الأصل ، وفوقها ضبة ، وقد أشير إلى هذا الغموض بحرف « ط » في الهامش . وكذلك اللفظة مهملة عند ابن عساكر .

(٤) مثل يضرب في النهي عن التحمل فوق الطاقة . وأصله من ربعتَ الحجر إذا رفعته . أي ارفعه بقدار طاقتك . المستقصى ١٣٨/١ ، واللسان : ظلع .

٨٩ ـ الضحاك المَعافري

حدث عن سليمان بن موسى عن كريب قال : سمعت أسامة بن زيد يقول : سمعت النبي ﷺ يقول :

« ألا هل مشمّر للجنة ؟ فإن الجنة لا خطر لها . هي ورب الكعبة نور تتلألأ كلها ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرّد ، وثمرة ناضجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وملك كبير ، ومقام في أبد ، في دار سليمة ، وفاكهة ، وخضرة ، ونعمة وحَبْرة[1] ، في جنة عالية بهية » . قالوا : نحن المشمّرون لها يا رسول [الله] قال : « فقولوا : إن شاء الله » ، فقال القوم : إن شاء الله .

زاد في حديث آخر بمعناه :

ثم ذكر الجهاد ، وحضّ عليه .

٩٠ ـ ضرار بن الأزور

مالك بن أوس بن خزيمة بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة ابن دودان[2] بن أسد بن خزيمة الأسدي

له صحبة ، وحدث عن سيدنا رسول الله ﷺ ، وشهد اليرموك ، وارتُثّ يومئذ . وشهد فتح دمشق .

حدث ضرار بن الأزور قال :

أهديت لرسول الله ﷺ لقحة ، فأمرني أن أحلبها ، فحلبتها ، فجهدت حلبها فقال : دع داعي اللبن .

وكان ضرار فارساً شاعراً ، وكان شهد اليمامة ، فقاتل أشد القتال حتى قطعت ساقاه جميعاً ، فجعل يحثو ويقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت .

---

(١) كذا في الأصل ، وفوقها ضبة . وفي الهامش حرف « ط » . والحبرة : النعمة . اللسان : حبر . انظر الحديث في سنن ابن ماجه ١٤٤٨/٢ ، وهو بلفظ : « في حبرة ونضرة » .

(٢) في الأصل : « داود » . وفوقها ضبة . واستدركت الرواية الصحيحة في الهامش . وانظر الجمهرة ١٩٣

obeikandi.com

وقيل : إنه مكث باليمامة مجروحاً ، فقَبْلَ أن يدخل خالد بيوم مات ضرار . وقيل : إنه استشهد يوم جسر أبي عبيد[1] في خلافة عمر .

أقبل ضرار بن الأزور إلى النبي ﷺ وقد خلّف ألف بعير برُعاتها ، فأخبره بما خلف وبُبُغضه للإسلام . ثم إن الله هداه وحبّب إليه الإسلام ، وقال : يا رسول الله ، إني قد قلت شعراً فاسمعه ، فقال النبي ﷺ : هيه . قال : قلت : [المتقارب]

[٧٠/أ] تركتُ القداحَ وعزفَ القيانِ ... والخمر أشربُها والثمالا
وشدَّ المحبَّر[2] في غمرةٍ ... وكرّي على المسلمين القتالا
وقالت جميلة شتّتنا ... وبددتَ أهلي شتى شِلالا[3]
فيا رب بعني بِهِ جنّةً ... فقد بعتُ أهلي ومالي بدالا

فقال رسول الله ﷺ : « وجب البيع » . مرتين أو ثلاثاً . فقتل يوم مسيلمة .

وزاد في رواية أخرى :

فيارب لا أُغبَنَنْ صفقتي ... فقد بِعتُ أهلي ومالي ابتدالا

فقال النبي ﷺ : « ما غُبنت صفقتك يا ضرار » .

وفي رواية :

« ربح البيع ، ربح البيع ، ربح البيع » .

بعث عمر بن الخطاب خالد بن الوليد في جيش . فبعث خالد ضرار بن الأزور في سرية في خيل ، فأغاروا على حي من بني أسد . فأصابوا امرأة عروساً جميلة ، فأعجبت ضراراً ، فسألها أصحابه ، فأعطَوه إياها ، فوقع عليها . فلما قفل ندم ، وسُقط في يده . فلما رفع إلى خالد أخبره بالذي فعل ، قال خالد : فإني قد أجزتها لك وطيبتها . قال :

---

(١) نسبة إلى أبي عبيد بن مسعود الثقفي الذي انتدب في عهد عمر بن الخطاب لقتال الفرس سنة ١٣ هـ . يقال إنه بنى الجسر على الفرات ، ويقال إنه كان قديماً فأصلحه . معجم البلدان .

(٢) المحبَّر : فرس ضرار . اللسان : حبر .

(٣) الشلال : القوم المتفرقون . اللسان : شلل .

obeikandl.com

لا ، حتى تكتب بذلك إلى عمر ، فكتب عمر أن ارضخه بالحجارة . فجاء كتاب عمر بن الخطاب وقد توفي ، فقال : ما كان الله ليخزي ضرار بن الأزور .

كتب أبو عبيدة إلى عمر أن نفراً من المسلمين أصابوا الشراب منهم ضرار وأبو جندل ، فسألناهم فتأوّلوا وقالوا : خُيّرنا فاخترنا . قال : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُوْنَ ﴾[1] ولم يعزم . فكتب إليه عمر فذلك بيننا وبينهم : ﴿ فَهَلْ أَنْتُم مُنْتَهُوْنَ ﴾ يعني : فانتهوا . وجمع الناس فاجتمعوا على أن يضربوا فيها ثمانين جلدة ، ويضمنوا النفس . ومن تأوّل عليها بمثل هذا ، فإن أبى قتل ، وقالوا : من تأول على ما[2] فسر رسول الله ﷺ [٧٠/ب] منه بالفعل والقتل . فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعُهم ، فإن زعموا أنها حلال فاقتلهم ، وإن زعموا أنها حرام فاجلدهم ثمانين . فبعث إليهم ، فسألهم على رؤوس الأشهاد ، فقالوا : حرام ، فجلدهم ثمانين ثمانين ، وحدَّ القوم ، وندموا على لجاجتهم ، وقال : ليحدُثَنَّ فيكم يا أهل الشام حادث ، فحدثت الرمادة .

قال الحكم بن عتيبة :

لَمّا كتب أبو عبيدة في أبي جندل وضرار بن الأزور جمع عمر الناس فاستشارهم في ذلك الحدث ، فأجمعوا أن يحدّوا في شرب الخمر ـ والسكر من الأشربة ـ حدّ القاذف ، وإن مات في حدٍّ مِن هذا الحدّ فعلى بيت المال ديته ، لأنه شيء رأوه هم . قال عطاء : وقالوا ـ وجاشت الروم ـ دعونا نغزُهم ، فإن قضى الله تعالى لنا بالشهادة فذاك ، وإلا عمدت للذي تريد ، فاستشهد ضرار بن الأزور في قوم ، وبقي الآخرون فحُدّوا .

قالوا : وقيل : قُتل ضرار بن الأزور يوم أجنادَيْن سنة ثلاث عشرة .

---

(١) سورة المائدة ٩٢/٥

(٢) استدركت لفظة « ما » في هامش الأصل .

٩١ ـ ضرار بن الخطاب

ابن مرداس بن كبير بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيبان
ابن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، الفهري

له صحبة . أسلم يوم فتح مكة ، وشهد مع أبي عبيدة فتوح الشام . وكان ضرار يوم الفجار على بني محارب بن فهر ، وكان أبوه خطاب بن مرداس يأخذ المرباع . وهو الذي غزا بني سليم ، وهو رئيس بني فهر . وجده عمرو بن حبيب هو آكل السَّقْب[1] . وذلك أنه أغار على بني بكر ، ولهم سَقْب يعبدونه ، فأخذ السَّقْب فأكله . وكان عمه حفص بن مرداس شريفاً . وكان ضرار بن الخطاب فارس قريش وشاعرهم ، وحضر معهم المشاهد كلها ، فكان يقاتل أشد القتال ، ويحرض المشركين بشعره . وهو قتل عمرو بن معاذ أخا سعد بن معاذ يوم أحد . وقال حين قتله : لا تعدمَنّ رجلاً زوّجك من الحور العين . وكان يقول : زوجت [٧١/أ] عشرة من أصحاب محمد ﷺ . وأدرك عمر بن الخطاب فضربه بالقناة ثم رفعها عنه وقال : يا بن الخطاب ، إنها نعمة مشكورة . والله ما كنت لأقتلك . وهو الذي نظر يوم أحد إلى خَلاء الجبل من الرماة فأعلم خالد بن الوليد ، فكرّا جميعاً بمن معهما ، حتى قتلوا من بقي من الرماة على الجُبَيل ، ثم دخلوا عسكر المسلمين من ورائهم . وكان له ذكر بالخندق . ثم إن الله منّ عليهم بالإسلام . وأسلم يوم فتح مكة ، فحسن إسلامه . وكان يذكر ما كان فيه من مشاهدته القتال ومباشرته ذلك ، ويترحم على الأنصار ، ويذكر بلاءهم ومواطنهم وبذلهم أنفسهم لله في تلك المواطن الصالحة . وكان يقول : الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام ، ومنّ علينا بمحمد ﷺ .

قال الزبير بن بكار :

لما بلغ دَوساً قتل هشام بن الوليد بن المغيرة أبا أزيهر وثبوا على من كان فيهم من قريش فقتلوه ، وقتل بجير بن العوام . وكان الذي قتل بجير بن العوام صبيحٌ بن سعد بن هانئ الدوسي جدّ أبي هريرة أبو أمه . وكان ضرار بن الخطاب المحاربي فيهم ، فأجارته أم غيلان وابنها عوف ، وهم موالي دوس . وكانت أم غيلان تمشط النساء . قال ضرار بن

---

(١) السقب في اللغة : ولد الناقة . اللسان : سقب .

الخطاب : أدخلتني في درعها حتى وجدت تسبيد[1] ركنها ـ يعني الشعر ـ فبذلك سميت أم غيلان إحدى الموفيات .

وذكر البلاذري

أنه لما وثبت دوس على ضرار بن الخطاب بن مرداس ليقتلوه بأبي أزيهر سعى حتى دخل بيت امرأة من الأزد يقال لها : أم جميل ، وأتبعه رجل منهم ليضربه ، فوقع ذباب السيف على الباب ، وقامت في وجوههم فذبّتهم ، ونادت قومها فمنعوه لها . فلما استخلف عمر بن الخطاب ظنت أنه أخوه ، فأتت المدينة ، فلما كلمته عرف القصة ، فقال : لست بأخيه [٧١/ب] إلا في الإسلام . وهو غاز بالشام . وقد عرفنا منّتكَ عليه ، فأعطاها على أنها بنت سبيل . وقيل : كان اسمها أم غيلان . وقال ضرار بن الخطاب من أبيات : [الطويل] :

جزى اللهُ عنا أمّ غيلانَ صالحاً ... ونسوتَها إذ هُنّ شعثٌ عواطلُ
فهنّ دفعْنَ الموتَ بعدَ اقترابِهِ ... وقد برزت للثائرين المقاتلُ

قال الضحاك بن عثمان :

امترى مجلس من الأوس والخزرج أيّهم كان أحسن بلاءً يوم أحد ، فمرّ بهم ضرار بن الخطاب فقالوا : هذا ضرار قد قاتلنا يومئذ ، وهو عالم بما اختلفنا فيه ، فأرسلوا إليه فتى منهم ، فسأله : من كان أشجعَ يومَ أحدٍ : الأوس أم الخزرج ؟ قال : لا ، ما أدري ما أوسكم من خزرجكم . ولكني زوجت يومئذ أحد عشر منكم من الحور العين .

ولما التقى عبد الله بن جحش يوم أحد هو وضرار بن الخطاب ، فلما عرفه ضرار قال : إليك يا بن جحش ـ وكان ضرار قد آلى ألا يقتل مضرياً ـ فقال له عبد الله بن جحش : ما كان دمك ـ يا عدو الله ـ أعجب إلي منه الآن حين جمعت كفراً وعصبية ، فنادى ضرار : يا معشر قريش ، اكفوني ابن جحش ، فانتظموه برماحهم ، وقال ضرار بن الخطاب لأبي بكر الصديق : نحن كنا خيراً لقريش منكم ، نحن أدخلناهم الجنة ، وأنتم أدخلتموهم النار .

---

(١) التسبيد : أن ينبت الشعر بعد أيام . اللسان : سبد .

قال السائب بن يزيد :

بينا نحن مع عبد الرحمن بن عوف في طريق الحج ، ونحن نؤمّ مكة اعتزل عبد الرحمن بن عوف الطريق ، ثم قال لرباح بن المغترف : غنّنا يا أبا حسان ـ وكان يحسن النصب ـ فبينا رباح يغنيهم أدركهم عمر بن الخطاب في خلافته فقال : ما هذا ؟! فقال عبد الرحمن : ما بأس بهذا ، نلهو ونقصّر عنا سفرنا ، فقال عمر : فإن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب .

٩٢ ـ ضرار بن ضَمْرة الكناني

[٧٢/أ] وفد على معاوية .

قال أبو صالح :

دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية فقال له : صف لي علياً ، فقال : أو أعفيتني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك ، فقال له : إذ لابدّ فإنه كان ـ والله ـ بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل وظلمته . كان ـ والله ـ غزير العبرة ، طويل الفكرة ، يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، ويعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما جشَبه[1] . كان ـ والله ـ كأحدنا ، يدنينا إذا أتيناه ، ويجيبنا إذا سألناه ، وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له . فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم . يعظّم أهل الدين ، ويحبّ المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا ييأس الضعيفُ من عدله . فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، يمثل في محرابه قابضاً على لحيته ، يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، فكأني أسمعه الآن وهو يقول : يا ربنا ، يا ربنا ، يتضرع إليه ، ثم يقول للدنيا : إليّ تعرضت أم لي تشوّفت ؟ هيهات هيهات ، غُرّي غيري ، قد بَتَتُّكِ[2] ثلاثاً ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة

---

(١) جشب الطعام : طحنه طحناً سيئاً . وطعام جَشِب قيل : هو الذي لا أُدم له . اللسان : جشب .

(٢) بتّ فلان طلاق امرأته وأبتّه : أي طلقها طلاقاً باتاً . اللسان : بتت .

الطريق . فوكفت دموع معاوية على لحيته ، ما يملكها ، وجعل ينشفها بكمه ، وقد اختنق القوم بالبكاء ، فقال : هكذا كان أبو الحسن رحمه الله ، فكيف وجدك عليه يا ضرار ؟ قال : وجَدُ من ذُبح أوحدُها في حِجرها ، لا ترقأ دمعتها ، ولا تسكن حسرتها . ثم قام فخرج .

زاد في حديث آخر بمعناه قال :

فقال معاوية : لكن أصحابي لو سئلوا عني بعد موتي ما أخبروا بشيء مثلِ هذا .

٩٣ ـ ضمرة بن ربيعة

أبو عبد الله القرشي

من أهل دمشق . نزل الرملة . وهو مولى علي بن أبي حَمَلة ، وهو مولى [٧٢/ب] آل عتبة بن ربيعة . وقيل مولى غيره .

حدث عن ميسرة بن معبد عن نافع عن ابن عمر قال : قال النبي ﷺ :

« ما اجتمع ثلاثة في حضر أو بدو لاتقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان » .

وحدث عن الأوزاعي بسنده عن أبي ثعلبة الخشني أن النبي ﷺ قال :

« كُلْ ماردَّت عليك قوسك » .

وحدث ضمرة عن سفيان بسنده عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال :

« من ملك ذا رحم فهو حرّ » .

وأنكر أحمد هذا الحديث . وكان ضمرة من الثقات المأمونين . رجل صالح ، مليح الحديث . لم يكن بالشام رجل يشبهه .

توفي ضمرة بن ربيعة بالرملة سنة اثنتين وثمانين ومئة . وقيل : سنة اثنتين ومئتين .

obeikandl.com

٩٤ ـ ضمرة بن يحيى الصوفي

من دمشق .

قال ضمرة بن يحيى الدمشقي : سمعت أبا بكر بن الأنباري يقول :

كتب الفضل بن سهل إلى بعضهم : أحتج عليك بغالب القضاء ، وأعتذر إليك بصدق النية .

قال ضمرة بن يحيى : أنشدنا أبو بكر بن الأنباري لمروان بن أبي حفصة : [الكامل]

عند الملوكِ منافعٌ ومضرَّةٌ ... وأرى البراءةَ لا تضرّ وتنفعُ
إن كان شراً كان غيرهمُ له ... والخير منسوبٌ إليهم أجمعُ
وإذا جهلتَ من امرئ أعراقَه ... وأمورَه فانظُر إلى ما يصنعُ

٩٥ ـ ضمضم بن زرعة

قيل إنه ابن ثوب

فإن كان أبوه زرعة بن ثوب فهو دمشقي مَقراني .

قال الحافظ :

وعندي أن ضمضماً حضرمي ، من أهل حمص .

حدث عن شريح بن عبيد عن أبي أمامة الباهلي وغيره من الصحابة عن رسول الله ﷺ قال :

إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم .

وحدث عن شريح بن عبيد عن كثير بن مُرّة عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي ﷺ [٧٣/أ] قال :

الخلافة في قريش ، والحكم في الأنصار ، والدعوة في الحبشة ، والجهاد والهجرة في المسلمين والمهاجرين بَعد .